

الحلقة الرابعة والثلاثون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي إشعياء (٣)

خلاص الله

صديقي المستمع ، بدأنا قبل لقاءين بدراسة أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس . وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن ، والمسيح المخلص الآتي .

ولقد بدأنا بدراسة بعض نبوءات النبي إشعياء التي تحدثت عن المخلص المسيح . فتبين لنا أنها لم تشر فقط إلى ولادته العجائبية وشخصيته الإلهية المجيدة ، بل تحدثت أيضا عن موته الكفاري من أجل ذنوب البشر جميعا . أجل ، لقد تنبأ النبي إشعياء وقبل ولادة المخلص المسيح بسبعمئة سنة ، أن المسيح سيُجرح لأجل معاصينا ، وسيُسحق لأجل آثامنا ، وأن الرب وضع عليه إثم البشر جميعا . وأنه نتيجة عمله الكفاري هذا سيتبرر الكثيرون .

نتابع اليوم مستمعي العزيز ، دراستنا لنبوءات النبي إشعياء . فنتأمل بالنبوءات التي أشارت إلى نتيجة عمل المخلص المسيح ، والعصر المجيد الذي تلاه ، بإعلان خلاص الله للبشرية جمعاء . لقد كان هدف الله منذ البداية هو أن يعلن خلاصه لجميع الشعوب . وها هو الله يوجه كلامه إلينا ، عن طريق النبي إشعياء قائلا : " **إلتفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض . لأني أنا الله وليس إله آخر .**" (إشعياء ٤٥:٢٢) يدعو هنا الله جميع شعوب الأرض لكي يلتفتوا إليه ويخلصوا . وعندما تحدث الله عن خلاصه ، فإنه كان يشير إلى الخلاص الذي سيعده من خلال المخلص المسيح . ولنلاحظ مستمعي أن الخلاص الذي أعلنه الله ، هو لكل إنسان . وليس هناك تمييز بين شعب وآخر ، أو أمة وأخرى . حقا ما أعجب خلاص الله ، وما أعظم محبته نحونا نحن البشر المذنبون .

وفي نبوءة أخرى تنبأ إشعياء بلسان الله عن المخلص المسيح الآتي قائلا: " **جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصا إلى أقصى الأرض .**" (إشعياء ٤٩:٦) لهذا لم يكن غريبا أن يقول المسيح عن نفسه : أنا هو نور العالم . من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة . لقد أرسل الله المخلص المسيح إذن ليكون نورا للعالم . نورا يطرد الظلمة ، أي الخطية من حياة الإنسان ، ويحل مكانها كل ما هو صالح ومفيد ومثمر . نعم لقد أعد الله خلاصا لنا نحن البشر الخاطئة ، بواسطة المخلص المسيح . وما علينا إلا أن نقبل هذا الخلاص بالإيمان .

وتنبأ أشعيا أيضا عن العصر المجيد ، الذي سيلي مباشرة إعلان خلاص الله عن طريق المخلص المسيح . فها هو يقول وبعد أن تنبأ عن آلام وموت المسيح الكفاري ، وتبرير الله للخطاة : " أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة ولا ثمن خمرا ولبنا . (إشعيا ٥٥: ١) يدعو الله هنا بلسان النبي إشعيا ، جميع العطاش ، أي جميع البشر الخطاة ، لكي يأتوا إلى المياه . والمياه هي المياه الحية التي تروي حقا النفس العطشى . المياه الحية التي أعلن المخلص المسيح أنه سيهبها لكل من يؤمن به .

ولقد أخبرنا البشير يوحنا في بشارته ، عن حادثة لقاء المخلص المسيح عند البئر بإمرأة سامرية ، كانت آتية لتستقي ماء من البئر . فقال لها المسيح : " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . " (بشارة يوحنا ٤: ١٣ و١٤) أراد المخلص المسيح القول ، أننا عندما نشرب ماء طبيعيا ، فلا بد أن نعطش مرة أخرى . لكن عندما نشرب من الماء الذي يعطيه هو لنا فلن نعطش إلى الأبد . فما هي طبيعة هذا الماء الذي يهبه لنا المسيح يا ترى ؟

أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال عندما نادى في مناسبة أخرى قائلا : " إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب . من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي . " (بشارة يوحنا ٧: ٣٧ و٣٨) إن الماء إذن هو ماء الخلاص الكامل ، ماء الغفران ، ماء الحياة الأبدية ، ماء الروح القدس الذي يحل فينا ، ويجعلنا خليفة روحية جديدة ومن أولاد الله . ولهذا فإن من يحصل على هذا الماء فلن يعطش أبدا ، بل يحيا إلى الأبد . فهل هناك أعظم من هذه المياه الحية ؟ المياه التي يهبها لنا المخلص المسيح مجانا . إذ أخبرنا النبي إشعيا أنها معروضة علينا بلا فضة وبلا ثمن . وقد شبهها لأهميتها بالخمير واللبن ، ومع ذلك فهي مجانية .

ولنلاحظ مستمعي أن الله من خلال النبي أشعيا ، دعا جميع العطاش بدون استثناء ، لكي يقبلوا ويشربوا مجانا من المياه الحية التي أعدها لهم . والعطاش هم أنا وأنت ، وكل إنسان يعترف أنه خاطئ أمام الله . أفلا تتوق مستمعي لكي تشرب من هذه المياه الحية ؟ إننا ندعوك مع المخلص المسيح ، لكي تأتي وتروي عطشك من هذه المياه . المياه الحية التي يهبها هو لك .

ثم تابع النبي إشعيا موجهها دعوته إلى جميع البشر قائلا : " اطلبوا الرب مادام يوجد ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره ، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلها لأنه يكثر الغفران . " (إشعيا ٥٥: ٦ و٧) لقد أعد الله الخلاص لكل البشر ، وذلك عندما أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح لكي يفدي الإنسان . وهكذا صار الخلاص متوفرا للجميع ، وصار الله الخالق القدوس قريبا من الإنسان . لكن ما على الإنسان إلا أن يتجاوب مع دعوة الخلاص المجانية هذه . وذلك بأن يتوب عن ذنوبه وآثامه ، ثم يأتي إلى الله مؤمنا بفداء المخلص المسيح لخطاياهم . وعندما لا بد أن يمنحه الله الغفران الكامل .

لم يعد الأمر إذن متعلقا بنا نحن البشر ، ولا داع لنا بعد الآن لكي نتعب ونجاهد حتى نحصل على رضى الله وغفرانه . لقد قام الله بواسطة المخلص المسيح بعمل الفداء والخلاص من أجلنا . ولهذا فإن محاولات الإنسان لإرضاء الله ، عن طريق القيام بالفرائض الدينية والأعمال الصالحة ، لن تأتي بأية نتيجة . إذ لن نستطيع نوال الغفران عن ذنوبنا ، إلا عن طريق فداء المسيح .

نعم ، مستمعي إن الله وحده هو الذي يرحم ، وهو الذي يهب الغفران الكامل . فلما لا تطلب الرب وتتب عن آثامك ، والله لا يد أن يمنحك الغفران عنها ، ومهما كانت عظيمة وكثيرة. هذه هي البشارة المفرحة ، الخير السار ، رسالة الإنجيل ، التي دعا المخلص المسيح تلاميذه، لكي يذهبوا ويكرزوا بها للخليفة كلها . أن الله يغفر الخطية ويهب الحياة الأبدية ، لكل من يؤمن بالمخلص المسيح .

ولهذا تتبأ أيضا النبي إشعياء عن المخلص المسيح قائلا : " هوذا قد جعلته شارعا للشعوب رئيسا وموصيا للشعوب . ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك . " (إشعياء ٥٥:٤ و٥) لقد جعل الله إذن المخلص المسيح شارعا أي مشرعا لكل الشعوب ، أي الذي تلتجئ إليه كل الشعوب لتجد عنده الخلاص وشريعة الله ، والمعرفة الإلهية الحقة . فهو الرئيس والملك الحقيقي ، إذ هو ملك الملوك ورب الأرباب .

ولم تقف نبوءة إشعياء عند هذا الحد ، بل تحدثت أن المخلص المسيح سيدعو أمة جديدة لكي تتبعه . وأن أمة لم تعرفه في السابق ستركض أو تلجأ إليه. وهذه الأمة هي جماعة المؤمنين الحقيقيين في المسيح ، أي كنيسة المسيح . هذه الأمة المؤلفة من كل الشعوب والقبائل والألسنة ، أي من كل الأفراد الذين آمنوا بالمخلص المسيح ، واختبروا غفران الله. هذا هو العصر المجيد الذي تتبأ عنه النبي إشعياء ، والذي سيتم بمجيء المخلص المسيح وإتمامه لعمل الفداء على الصليب من أجل ذنوب البشر جميعا . والذي سيعلن فيه خلاص الله لكل البشر .

لهذا لم يكن غريبا أيضا، أن ينشد إشعياء بلسان كل إنسان مذنب ، يأتي إلى الله تائباً ومؤمناً قائلاً : " فرحا أفرح بالرب . تبتهج نفسي بالهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص . كساني رداء البر . " (إشعياء ٦١:١٠) حقا إنها أنشودة كل إنسان اختبر خلاص الله ، فنال الغفران عن ذنوبه ، وتأكد أن له حياة أبدية . وستبقى هذه الأنشودة تتردد على أفواه كل المؤمنين إلى الأبد . معبرين عن مدى شكرهم لله ، وفرحهم بإنقاذه لحياتهم .

فهل تود مستمعي العزيز أن تكون أحد أفراد هذه الأمة الجديدة المقدسة ؟ تعال إذن بتوبة صادقة وإيمان قلبي بالمخلص المسيح ، فنتال الغفران والخلود .